

كيف يمكن للعرب تجنب دفع اثمان

«الهدايا المتبادلة» بين بوش ورايين؟

■ تتحكم واشنطن بالمكان، وتقرر «اسرائيل» الزمان، ونتمسك نحن معشر العرب بما استطعنا من حقوق.

المكان: شاء شامير قبل هزيمته الانتقال نحو المنطقة، او في الاقل، الانتقال من واشنطن. فكان ان تقرر نقل المفاوضات الى روما. ولكن بوش، بعد فوز رايين في الانتخابات «الاسرائيلية»، قرر أن لا فائدة انتخابية له من المفاوضات الا اذا جرت هذه في عاصمة بلاده. فانتقلت المفاوضات مجددا الى واشنطن. ولم تعترض «اسرائيل»، ولم تغضب ايطاليا، وفرح العرب على انواعهم.

الزمان: قيل للمفاوضين ان المفاوضات ستكون مفتوحة، لكن «اسرائيل» حددت يوم رأس السنة العبرية كموعدا لانهاء الجولة ولم تعترض واشنطن وقبل العرب. وبعد بدء الجولة بايام رأت «اسرائيل» ضرورة تعليق المفاوضات عشرة ايام كي يعود وفدها ويتشاور مع حكومته، فكان لها ذلك.

وتتحكم «اسرائيل» بالروزنامة بالذات لان الزمان بيدها. توقع الكثيرون ان تكون الجولة السادسة الحالية من المفاوضات محكومة بالملف الفلسطيني. فاذا ب «اسرائيل» تقرر استعجال الملف السوري، وتمارس نوعا من التباطؤ المقصود في الملفات الاخرى. وقد أدى هذا التبدل في الاستراتيجية «الاسرائيلية» الى تقدم ملموس على الطاولة مع السوريين، وبالتالي الى نوع من الجمود في الملف الفلسطيني، والفراغ في الملف الاردني والتأزم الشديد في الملف اللبناني. وأدى هذا التبدل ايضا الى تشوش نسبي في العلاقات العربية - العربية بل الى قدر ما من التشكيك المتبادل بين الاطراف العربية المنخرطة في المسيرة.

وان كان المكان بيد واشنطن والزمان بيد «اسرائيل» فماذا يحمل العرب في ايديهم؟ الحق يقال ان اوراق الضغط العربية على «اسرائيل» قد تضاءلت كثيرا منذ انهيار الاتحاد السوفييتي، وتضاءلت اكثر بسبب حرب الخليج، ثم تضاءلت مجددا بعد فوز اسحق رايين في الانتخابات «الاسرائيلية» وبعد زيارته الناجحة الى واشنطن خلال الصيف حيث حقق الهدف الاهم في دبلوماسيته اي إعادة العلاقات «الاسرائيلية» - الاميركية الى ما كانت عليه من التفاهم والتلاقي والتواطؤ وبالتالي الفوز بما عجز شامير عن نيله اي ضمان القروض المصرفية.

هذا التضائل المثلث في القدرات العربية لا يعني البتة ان الوفود العربية اصبحت معدومة القرار. فلها ان تلعب بالمكان ان رأت ذلك ولها ان تجعل الزمان حليفها. ويكون ذلك من بابين:

الأول، هو التصدي للاستئثار «الاسرائيلي» بقانون السرعة. فعلى اللعب «الاسرائيلي» المستمر على الملفات الاربعة المفتوحة، هنا ابطاء هناك تسريعا وهناك تجميدا، يمكن للعرب ان يتفوقوا على قاعدة السرعة المتوازية على الطاولات الاربعة، بمعنى ان يشترط كل وفد تقديما متوازيا في المفاوضات الاربعة الجارية قبل الاقدام على اي تنازل مهم. هذه السرعة المتوازية تقتضي ايضا الاخذ بعين الاعتبار لحالتين استثنائيتين:

الاولى، هي الحالة الفلسطينية بمعنى ان الروزنامة التي وضعت في مدريد تضع شرطا مسبقا ضمنيا لتقدم كل المفاوضات هو انشاء الحكم الذاتي الفلسطيني قبل آخر شهر تشرين الاول - اكتوبر المقبل وفي اقصى الحالات قبل انتهاء هذه السنة ١٩٩٢. وينبغي ان يربط كل طرف عربي التقدم في مجاله بتحقيق هذا الشرط المسبق، وبتحقيقه، قدر الامكان

“

بامكاننا ان نشهد
حفلة تبادل «الهدايا»
بين اميركا و«اسرائيل»
من دون دفع ثمنها

“

وفق التفسير الفلسطيني، لا «الإسرائيلي»، له، أي انشاء مؤسسة تمثل الفلسطينيين سياسيا داخل الأراضي المحتلة، لا مجرد بلدية كبرى بحجم تلك الأراضي.

والثانية، هي الحالة اللبنانية. فمن السهل تماما ان يترك الملف اللبناني مجمداً حتى انتهاء كل العملية، وهذه على ما يبدو، رغبة «إسرائيل»، لكن الملف اللبناني هو في الآن معاً سهل للغاية وصعب للغاية، صعب لمواطني الجنوب اللبناني الرازحين تحت نير الاحتلال، والذين يقاسون مرارة القصف العشوائي ومرارة صعوبة

الاتصال بمواطنيهم وبعاصمة بلادهم، ومرارة تحكم حلفاء «إسرائيل» وعملائها في رقابهم. ولكنه من جانب آخر سهل للغاية لان «إسرائيل» قد أقرت ان ليس لها مطامع في أراضي لبنان ولا في مياهه، ولأن الأمم المتحدة قد خصت الجنوب اللبناني بقرار مميز هو القرار ٤٢٥ وبآخر يحمل في مواده برنامجاً محدداً للتنفيذ

هو القرار ٤٢٦. من هنا يمكن استثناء الحالة اللبنانية من مبدأ السرعة المتوازنة والمطالبية العربية الشاملة، لا اللبنانية فحسب، بتسريعه فور اقرار مبدأ الحكم الذاتي الفلسطيني والاتفاق عليه، أي، مبدئياً، في اواخر هذا العام او مطلع السنة المقبلة.

اما الباب الثاني لاسترداد المبادرة العربية في موضوع الزمان، فهو التذكر بأن الانتخابات الرئاسية الأميركية واقعة في مطلع شهر تشرين الثاني - نوفمبر المقبل. المنطق يقول بعدم الاقدام على أي تنازل عربي قبل ذلك التاريخ، أي قبل التأكد من ان بوش باق رئيساً. لكن المعركة الرئاسية

حامية اكثر بكثير مما كان متوقعا، ويصعب على أي كان التنبؤ منذ الآن بهوية الفائز في هذه الانتخابات. وحماوة المعركة ستدفع بوش للضغط الشديد على الاطراف المفاوضة لتقديم تنازلات حسية قبل ذلك التاريخ، تشكل نوعاً من الهدايا الانتخابية لرئيس - مرشح هو في امس الحاجة اليها.

فما العمل؟ يقيني ان الاطراف العربية جميعاً تعلم حق العلم ان معاهدة كامب ديفيد لم تنفع جيمي كارتر ولا امنت له الفوز بولاية ثانية. وبناء على هذه السابقة، قد يكون من الافضل للعرب الا يقدموا على أي تنازل من شأنه ان يسرع المفاوضات هنا او هنالك، لان ذلك قد يشكل تراجعاً في الموقف العربي من دون ان يخدم حظوظ بوش الانتخابية.

ثم انه أن الاوان لكي نشهد حفلة تبادل الهدايا بين «إسرائيل» وأميركا من دون ان ندعى بالضرورة لدفع ثمنها. فعندما قدم بوش لرابين خلال الصيف هدية ضمان القروض دفعنا نحن الثمن. وغداً عندما ستطالب الوفود بتنازلات قد ندفع نحن الثمن ويسرق رابين من العرب الفائدة الإعلامية والانتخابية المرتبطة بتلك التنازلات.

من هنا، فان كان التضامن العربي في الماضي نوعاً من الشعار الايديولوجي والعنوان السياسي العريض فانه قد امسى اليوم ضرورة لكل واحد من الاطراف العربية، بمعنى ان المصلحة القطرية لكل طرف عربي مفاوض هي بالذات مرتبطة بتضامنه مع الاطراف الاخرى، بعدم استباقهم، وبالتنسيق معهم، وباللعب على الزمان والروزنامة وفق ايقاع مشترك، لا يشذ عنه احد.

ويرتب هذا الهدف مسؤولية كبرى على الاطراف العربية الاخرى لاسيما تلك التي قبلت الدخول في المحادثات المتعددة الاطراف. فهذه الدول، والخليجية منها اولاً، عليها ايضاً احترام هذا الايقاع خلال جلسات اللجان الخمس المشكلة للبحث في برنامج الامن الاقليمي الشامل المتعدد الاطراف. وأي تسريع للوتيرة في هذه المحادثات، في خلال هذه الفترة الحرجة جداً التي تفصلنا عن الانتخابات الرئاسية

الاميركية، قد يرتد حذراً على الاطراف المنخرطة في المفاوضات الثنائية. كما يرتب هذا الهدف مسؤولية خاصة على مصر التي قبلت بقلب كبير حضور جلسات تنسيق دول الطوق. وقد صدر عن القاهرة غير تصريح وتلميح اربك بعض الشيء الاطراف المفاوضة، لاسيما بعد زيارة رابين للقاهرة. ويقيني انه من الضروري الا تستيق القاهرة الاطراف المعنية، وان تسير بالوتيرة نفسها، وان تماشي الدول المنخرطة في التفاوض لا ان تشكل مصدر ضغط ولو خفيف عليها.

من الواضح تماماً ان «إسرائيل» وأميركا قد عادتا، الى حد كبير، الى سابق العلاقة الحميمة بينهما. ونشهد اليوم تبادلاً مستمراً للهدايا بين رابين الذي ما فاز في انتخابات «إسرائيل» لولا دعم بوش الحازم الحاسم له في معركته، وبين بوش الذي يراهن الى حد كبير على رابين ليفوز في معركته الرئاسية المقبلة. هذا الاعتماد المتبادل يتجاوز العلاقة بين دولتين اذ هو اعتماد متبادل بين رجلين، بين مرشحين، بين سياسيين.

وما علينا، نحن معشر العرب، ان نهجر الاحتفال الجاري بتبادل الهدايا بين الرجلين هذين. يكفينا فقط ان نمنعهم، ونحن في اخرج مراحل التفاوض، من ارغامنا على دفع ثمن تلك الهدايا. ■ ■

“ السرعة المتوازنة في المفاوضات، هي احد المدخل لوقف الاستئثار «الإسرائيلي» بمسار التسوية